أوضح دلالته للمتفكرين، وأبدى شواهده للناظرين، وبين آياته للعالمين، وقطع أعذار المعاندين، ودحض حجج الجاحدين؛ فاستنارت آيات الربوبية، وسطعت دلائل الألوهية، واضمحلت غمرات الشك، وزالت ظلمات الريب، ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[يونس:٣٢]، ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾[طه: ١١٤]، ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾[الأنعام:٦٢].

فربنا ﷻ الحق؛ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا شك فيه ولا ريب، فهو المعبود بحق، ولا معبود بحق سواه.

فهو الحق ﷻ، وما سوى الحق إلا الباطل والضلال، ومن ادعى إلهًا غير الله ﷻ ادعى باطلاً وكذبًا وزورًا؛ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾.

فربنا ﷻ الحق، وقوله الحق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسله حق، وكتبه حق، ودينه حق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء

ينسب إليه بحق فهو الحق؛ ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾[طه:١١٤].

وجاء في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن عباس ﷺ في دعاء النبي ﷺ: أنه إذا قام إلى الصلاة في جوف الليل قال: «اللَّهُمَّ! أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ».

❐ الصراع..

وهذا صراع أبدي بين الحق والباطل؛ فمن كان مع الله فهو على الحق المبين، وله النصر في الدنيا والآخرة، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[التوبة:٣٣].

فالمؤمنون متبعون للحق، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾[محمد:٣]، وهم يتواصون فيما بينهم على التمسك بالحق: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر].

ومن رد الحق بعد بيانه فهو: المتكبر الظالم لنفسه؛ فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[أخرجه مسلم].

❐ أين الطريق؟

وما زال كثير من الناس يبحثون عن الحقيقة ليستدلوا بها إلى الحق:

فمنهم: من استند إلى صوت الفطرة في أعماقه، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم:٣٠].

ومنهم: من اعتمد مبدأ "السببية"؛ الذي يقرر: أن كل صنعة لا بد لها من صانع، وكل حادث لا بد له من محدث، وكل نظام لا بد وأن يكون وراءه منظم.

ومنهم: من جعلها مسألةً (حسابيةً)، وهم أهل الريب والشك، فانتهى بهم إلى أن الأضمن لحياتهم وما بعد حياتهم: الإيمان بالله والآخرة والبعث والجزاء؛ كما قال شاعرهم:

قَالَ المُنَجِّمُ وَالطَّبِيبُ كِلاَهُمَا ... لاَ تُبْعَثُ الأَمْوَاتُ، قُلْتُ: إِلَيْكُمَا

إِنْ جَاءَ قَوْلُكُمَا فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ ... أَوْ جَاءَ قَوْلِي فَالخَسَارُ عَلَيْكُمَا

ولا نجاة مع الشك، قال ﷺ: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم:١٠].

ومنهم: الذين ما زالوا محتارين مشركين -نعوذ بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلال بعد الهداية-، ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ

﴿أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾[الرعد:١٩].

والحقيقة: أن كل شيء دلَّ الدليل على أنه يقربك من الله ﷻ فهو: حق، وكل شيء يبعدك عنه فهو: باطل، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٣١].

قال ابن تيمية: "ليس صلاح الإنسان في مجرد أن يعلم الحق دون ألا يحبه ويريده ويتبعه".

وليست المصيبة: أن يصاب الإنسان بنفسه أو ماله أو ولده، وإنما المصيبة العظيمة، والكسر الذي لا ينجبر: أن يصاب الإنسان بدينه! فيحل الشك محل اليقين؛ فيرى الباطل حقًّا، والحق باطلاً، والمعروف منكرًا، والمنكر معروفًا.

❐ اهبط بوادي النجاة!

ما الأمر الكبير، والكرب الشديد، والهم العظيم الذي يستعصي على رب العزة؟ فالله هو الحق، وقوله الحق، ووعده الحق.

فحق على العبد أن يظن بربه خيرًا، ويتوكل عليه، وأن ينتظر منه فضلاً، وأن يرجو من مولاه لطفًا، وأن يتعلق بعهوده. فلا يجلب النفع إلا هو، ولا يدفع الضر إلا هو، وله في كل نفس لطف، وفي كل حركة حكمة، وفي كل ساعة فرج، جعل بعد الليل صباحًا وبعد القحط غيثًا.

والله لا يرد دعوة مؤمن صادق؛ لأن الله ﷻ هو الحق، ووعده حق؛

فالله ﷻ قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر:٦٠].

إذن؛ فمشكلاتك جميعها إلى حلول، وكل آلامك إلى عافية، وكل أحلامك إلى واقع، وكل دموعك إلى ابتسامة.. اطمئن!

فإن بعد الفقر غنًى، وبعد الظمإ ريًّا، وبعد الفراق اجتماعًا، وبعد الهجر وصلاً، وبعد الانقطاع اتصالاً، قال ﷻ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾[النمل:٧٩].

اللهم! أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.